***Journal of Religion & Society* (JR&S)**
Available Online:
https://islamicreligious.com/index.php/Journal/index
Print ISSN: 3006-1296Online ISSN: 3006-130X
Platform & Workflow by: Open Journal Systems
https://doi.org/10.5281/zenodo.17038328

Proofs for the Existence of God in the Thought of Mustafa Sabri and Tahir ibn Ashur: An Analytical and Comparative Study

أدلة وجود الله تعالى بين مصطفى صبري وابن عاشور

(دراسة تحليلية مقارنة)

Mushrraf Baig Ashraf
Ph.D, International Islamic University, Islamabad
m.mushrraf@gmail.com
Dr. Abdul Wahhab Jan
Associate Professor, International Islamic University, Islamabad
abdulwahab.jan@iiu.edu.pk

Abstract

One of the most pressing issues in the intellectual arena today concerns humanity's need for religion in general, and Islam in particular. The nineteenth century witnessed a denial of this need, and it became prevalent in the West, and in some scientific circles in the East following the West, that humanity had reached a stage where it no longer needed religion. Religion's most fundamental component is the conception of a transcendent being that believers hold sacred. Therefore, we find theologians and scholars of creed paying attention to rational proofs for God's existence, while those who opposed the need for religion criticized the very conception and existence of God. The pace of denying God has increased over the past century or two. Hence, the need to demonstrate God's existence remains a perpetual, eternal necessity. We have chosen two prominent Muslim theologians to study their methods of proving God's existence and to compare between them: Mustafa Sabri (d. 1373 AH / 1954 CE) and Ibn Ashur (d. 1393 AH / 1973 CE). These two were born in the nineteenth century and lived in relatively close periods when the Islamic nation faced existential challenges and suffered calamities, and both were among those who remained vigilant for the Islamic community. Sheikh Mustafa Sabri specifically critiqued modern Western philosophers and evaluated their criticisms directed at theologians' methods of proving God's existence. It is therefore scientifically necessary to bring these two together, highlighting each one's approach to this aspect of theology—namely, proving God's existence. For this reason, I have chosen this comparative study between them.

***Keywords**: Ilm-e-Kalam, Islamic Theology, Proof for Existence of God, Ibn Ashur, Tafsir al-Tahrir wa'l-Tanwir.*

الملخص:

إن من أشد القضايا العلمية إلحاحا في ساحة الفكر ما يتعلق بحاجة الإنسان اليوم إلى الدين عامة وإلى دين الإسلام خاصة. فقد رآى القرن التاسع عشر إنكار تلك الحاجة وساد في الغرب وفي بعض الأوساط العلمية في الشرق تبعا للغرب أن البشرية قد وصلت إلى مرحلة استغنى فيها عن الدين. ثم الدين أهم ما يقومه هو تصور كائن متعال يقدسه من يدينه. لذلك نجد علماء الكلام والعقيدة يعتنون بأدلة وجود الإله من الناحية العقلية، ونلفي كذلك من ناوأ الحاجة إلى الدين منتقدا لتصور الإله[1] ووجوده. وازدادت منذ قرن أو قرنين وتيرة إنكار الإله. من هنا كانت الحاجة إلى البرهنة على وجود الإله حاجة دائمة سرمدية. فاخترنا علمين من أعلام علماء الكلام المسلمين لدراسة طرق إثبات وجود الله تعالى لديهما وعقد المقارنة بينهما، وهما الشيخ مصطفى صبري (المتوفى: 1373هـ / 1954م) والعلامة ابن عاشور (المتوفى: 1393هـ / 1973م) اللذان ولدا في القرن التاسع عشر ووجدا أنفسهما في عصر متقارب، قد كانت الأمة الإسلامية تواجه فيه تحديا وجوديا، وتبتلى بكوارث، وكانا ممن يسهر للأمة الإسلامية. وقد خص الشيخ مصطفى صبري فلاسفة الغرب المحدثين بالنقد وتقويم ما وجهوا إلى طرق إثبات وجود الإله لدى علماء الكلام من النقد. فمن ضرورتنا العلمية أن يعقد القران بينهما، ويبرز مناحي تناول كل منهما لهذا الجانب من علم الكلام وهو إثبات وجود الإله. فاخترت هذا الموضوع المقارن بينهما.

الكلمات الدلالية: علم الكلام، أدلة وجود الله، التحرير والتنوير، ابن عاشور، مصطفى صبري

المقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضللْ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدا عبده ورسوله. أما بعد:

الحاجة إلى الموضوع:

فإن من أشد القضايا العلمية إلحاحا في ساحة الفكر ما يتعلق بحاجة الإنسان اليوم إلى الدين عامة وإلى دين الإسلام خاصة. فقد رآى القرن التاسع عشر إنكار تلك الحاجة وساد في الغرب وفي بعض الأوساط العلمية في الشرق تبعا للغرب أن البشرية قد وصلت إلى مرحلة استغنى فيها عن الدين، وقد كان زمان، كان للدين فيها دوره الذي يؤديه، ولكن كانت البشرية آنذاك في نعومة أظفارها. أما الآن وقد نضجت فلا حاجة بها إلى الأديان التي لم تكن سوى خرافة. قد تجلى هذه الفكرة بصورتها العلمية الفلسفية في عمل الفيلسوف الفرنسي "أوجست كونت"[2] الذي يعد أبا عذرة الفلسفة الوضعية حيث صاغ للتقدم المجتمعي البشري عبر التاريخ قانونا،

[1] نذكر على سبيل المثال الفيلسوف البريطاني بريتراند رسل في كتابه "لماذا لست مسيحيا؟"

[2] أوغست كونت (1222هـ – 1274هـ = 1795م – 1857م): فيلسوف وناشط سياسي فرنسي، يعد أبا الفلسفة الوضعية. كان لفلسفته صدى واسع في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. يعد مؤسسا لما يعرف الآن بفلسفة العلوم. فقد وضع اللبنات الأولى لفلسفة الرياضيات وفلسفة فيزياء وفلسفة الكيمياء، وكان له عناية بالبعد الاجتماعي لهذه العلوم عناية خاصة. من أهم أعماله "دورة في الفلسفة الوضعية" "نظام السياسة الوضعية أو رسالة في العلم الاجتماعي: تأسيس للديانة الإنسانية" (تراجع المقالة المتعلقة به في موسوعة ستانفورد للفلسفة في الرابط التالي)

Bourdeau, Michel, "Auguste Comte", *The Stanford Encyclopedia of Philosophy* (Spring 2023 Edition), Edward N. Zalta & Uri Nodelman (eds.), URL = <https://plato.stanford.edu/archives/spr2023/entries/comte/>.

قرر من خلاله أن البشرية مرت بثلث مراحل: مرحلة الأديان ومرحلة ما بعد الطبيعة ومرحلة الوضعية.[3] لاشك أن فكر هذا الفيلسوف قد انتقد ولكن ما كان مبنيا عليه هذا النظر من فكرة الاستغناء عن الدين لايزال حيا.

ثم الدين مهما اختلف في تحديده وتعريفه، فإنه يشمل تصور كائن متعال يقدسه من يدينه. فأرباب الأديان السماوية تؤمن بالإله المتعالي الذي هو الله تعالى. فتصور الإله فكرة متجذرة في الدين أو في معظم الأديان[4] لذلك نجد علماء الكلام والعقيدة يعتنون بأدلة وجود الإله من الناحية العقلية، ونلفي كذلك من ناوأ الحاجة إلى الدين منتقدا لتصور الإله[5] ووجوده. وازدادت منذ قرن أو قرنين وتيرة إنكار الإله. من هنا كانت الحاجة إلى البرهنة على وجود الإله حاجة دائمة سرمدية.

من هنا، اخترنا علمين من أعلام علماء الكلام المسلمين ممن ولد في القرن التاسع عشر لدراسة طرق إثبات وجود الله تعالى لديهما وعقد المقارنة بينهما، وهما الشيخ مصطفى صبري (المتوفى: 1373هـ / 1954م)[6] والعلامة ابن عاشور (المتوفى: 1393هـ / 1973م)[7] اللذان وجدا أنفسهما في عصر متقارب، وقد كانت الأمة الإسلامية تواجه فيه تحديا وجوديا، وتبتلى بكوارث، وكانا ممن يسهر للأمة الإسلامية. وقد خص الشيخ مصطفى صبري فلاسفة الغرب المحدثين بالنقد وتقويم ما وجهوا إلى طرق إثبات وجود الإله لدى علماء الكلام من النقد. فمن ضرورتنا العلمية أن يعقد القران بينهما، ويبرز مناحي تناول كل منهما لهذا الجانب من علم الكلام وهو إثبات وجود الإله. فاخترت هذا الموضوع المقارن بينهما.

الدراسات السابقة:

لقد انعقدت بعض دراسات تناولت الجانب العقدي من هاتين الشخصيتين،

- مريم محمد إبراهيم الرقيق، الاتجاه العقدي عند محمد الطاهر بن عاشور، مقال منشور في مجلة "فكر وإبداع". اكتفت فيها الباحثة بعرض خطوط عامة عن اتجاه العلامة ابن عاشور، ولم تتعرض لخصوص أدلة وجود الله تعالى،
- عبد السلام محمد عساف وأحمد عبد حسين العوايشة، منهج الشيخ مصطفى صبري في الرد على شبهات إنكار وجود الله، مقال منشور في مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية، غزة، فلسطين، العدد الرابع، 2021م. هذا البحث كما هو جلي من عنوانه لم يتعرض لأدلة وجود الله، بل قام بتحليل طرق الشيخ لدفع ما يثيره الملحدون من الشبهات،

---

[3] تفصيل هذه المراحل أن المرحلة الأولى كانت ضرورية للبشرية في مهدها، حيث بدأ الناس يبحون عن علة الأشياء والظواهر الطبيعية وعن الوحدة وراء هذا الكثرة، فلم يجدوا لها جوابا سوى أن نسبوها إلى آلهة وراء هذا الكون، تديره وتحرك خيوطه من حيث لا نرى. فما إن ألفوا ظاهرة تحيد عن مألوفهم إلا فسروها بتدخل إله من الآلهة. والمرحلة الثانية أيضا لاتختلف عن الأولى غير أن الإنسان فيها أحل محل الآلهة الكوائن المجردة وصاغ مفاهيم مطلقة. أما الأسئلة والمنظور الفكري فتبقى كما هي. والمرحلة الثالثة التي هي مرحلة الوضعية فالإنسان يرعوي عن التنقيب في ما وراء الطبيعة بحثا عن علل الظواهر، فيكتفي بالقوانين الحاكمة لها. فيبقى همه هو "كيف" ولا يجري وراء "لم". وكذلك يفيق من غفلة الإطلاق فيشطب المفاهيم المطلقة ويسطر مكانها المفاهيم الإضافية. وقد دخلت البشرية بالثورة العلمية في هذه المرحلة الثالثة الأخيرة. (يراجع لتفصل ذلك مقالة ستانفورد المتعلقة بأوجس كونت المعزو إليها في الهامش السابق.)

[4] فإن البوذية لاتؤمن بإله أو آلهة، ولكن يعدها المشتغلون بفلسفة الدين دينا.

[5] نذكر على سبيل المثال الفيلسوف البريطاني بريتراند رسل في كتابه "لماذا لست مسيحيا؟"

[6] مصطفى صبري (1286 - 1373 هـ = 1869 - 1954 م): من علماء الحنفية. فقيه باحث. تركي الأصل والمولد والمنشأ. ولد في توقات وتعلم بقيصرية في الأناضول وعين مدرسا في جامع محمد الفاتح، باستانبول، وهو في الثانية والعشرين من عمره. ثم تولى مشيخة الإسلام في الدولة العثمانية. وقاوم الحركة الكمالية بعد الحرب العالمية الأولى. وهاجر إلى مصر، بأسرته وأولاده فألف كتبا بالعربية، منها "موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين" و"موقف البشر تحت سلطان القدر" وله مؤلفات بالتركية طبع بعضها. ووفاته بالقاهرة. (الزركلي، الأعلام: «الأعلام للزركلي: 7/ 236، دار العلم للملايين، 2002م)

[7] محمد الطاهر بن عاشور (1296 - 1393 هـ = 1879 - 1973 م):: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها. عين شيخا للإسلام مالكيا. وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة، من أشهرها مقاصد الشريعة الإسلامية وأصول لنظام الاجتماعي في الإسلام و التحرير والتنوير في تفسير القرآن. (الزركلي، الأعلام: 6/ 174)

- سعود بن عبد الرحمن بن محمد اليميني، منهج وآراء الشيخ مصطفى صبري في التوحيد والنبوة في ضوء عقيدة أهل السنة والجامعة، رسالة الماجستير. لقد تعرض المصنف لأدلة وجود الله تعالى بتفصيل، وتناول الدليل الغائي ودليل الحدوث ودليل الإمكان ودليل الخلق ودليل الإدراك ودليل الوجدان أو الإرادة. ولكنه المحلاظ أنه حينما تناول الدليل الغائي ساق كثيرا مما ذكره الشيخ صبري تحت الآيات القرآنية المتحدثة عما يجري في الطبيعة من الظواهر، وأبرز أن الشيخ استدل في هذا الدليل بأقوال علماء الغرب أيضا ولكن ما لم يبينه هو وجه دلالة هذا الدليل وإبراز المقدمات التي يشيد عليها. فمقالي هذا يسد هذا الخلل. ثم ما سماه الباحث بدليل الخلق ليس إلا وجها من وجوه دليل الحدوث. فإنه قام على حسب الباحث على "وجود الكائنات المحسوسة في الخارج وحصول صورها في الذهن" ونعلم أن الكائنات وما يتكون فينا من صورها من العالم الحادث. فلو رجعنا بوجه دلالة هذا الدليل إلى ما ينبني عليه من المقدمات، لعلمنا أنه لا يكتمل بغير ما سنقدمه في دليل الحدوث. والأمر نفسه فيما سماه دليل الإدراك الذي استدل فيه الشيخ بموهبة الإدراك فينا على واهبها مادمنا لانجد ما يفسرها في هذا العالم. فهذا الدليل أيضا وجه من وجوه دليل الحدوث. فإنه يقوم على أن واهب الإدراك لابد أن يكون مغايرا للإدراك والمادة. وهذا أيضا مفروض في دليل الحدوث. والقول نفسه في دليل الإرادة الذي قام على الاستدلال بوجود الإرادة في الإنسان. ثم لم يتعرض الباحث لما تعرض له على وجه الخصوص من دليل الأخلاق الذي التجأ إليه الفيلسوف الشهير الألماني[8] إيمانويل كانط وأبدى عواره.
- عبود، جمال مرشد وآخرون، المنهج النقدي عند شيخ الإسلام مصطفى صبري، رسالة الدكتوراه، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان، 2015م. مما يجب الاعتراف به أن هذا العمل قد توسع في تناول عمل الشيخ في جوانب متعددة، منها العقيدة وأدلة وجود الله تعالى. ولكن هذه الرسالة حينما فسحت نطاق بحثها، فلم تسطع أن تستوعب كل موضع من جميع جوانبها. فالرسالة تطرقت إلى أدلة وجود الله تعالى لدى الشيخ صبري، ولكنها تناولت دليل الإمكان وما سماه دليل الحس فقط. أما رسالتي فتعرضت إلى جانب ذلك الأدلة الأخرى التي تعرض لها الشيخ ومنها على وجه الخصوص دليل الحدوث.
- عبد الرؤوف تاج الدين صوان، مقاصد العقائد عند الشيخ الطاهر بن عاشور، رسالة الدكتوراه المقدمة في جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، قسم العقائد والأديان. هذه الدراسة كان جنوحها نحو الجانب المقاصدي للعلامة ابن عاشور في تناوله لمباحث العقيدة، وقد كان العلامة يشار إليه بال بنان في مقاصد الشريعة، فهذه الدراسة ألصق بدور العقيدة في تربية البشر ولكنها لم تتعرض لخصوص أدلة وجود الله تعالى على النحو الكلامي كما قامت هذه الدراسة التي بين يدري القارئ الكريم، ويضاف على كل هذا كله أن هذه الدراسة التي نقدمها بين يدي القارئ تعقد الوزان بين الشيخ مصطفى صبري والعلامة ابن عاشور في تناولهما لأدلة وجود الله تعالى بمنحى كلامي.

أسئلة البحث:

لعل أهم الأسئلة التي يطرحها هذا البحث تتمثل في ما يلي:

- ما الأدلة التي استند إليها الشيخ مصطفى صبري لأثبات وجود الله تعالى؟
- وما الأدلة التي عول عليها العلامة ابن عاشور لمعالجة قضية وجود الله تعالى؟

[8] إيمانويل كانط (1724م – 1804م) فيلسوف ألماني، كان له أثر بارز في مباحث ما بعد الطبيعة في العالم الغربي والعالم الإسلامي. فإنه قدم تحليلا للمنظومة المعرفية البشرية، حاول من خلاله البرهنة على أن النشاط الكلامي القائم على إثبات وجود الله تعالى من خلال الدليل العقلي مستحيل، بل منطو على التناقض. فكان له صدى، وعمل لذلك كتابا سماه "نقد العقل الخالص". ثم جنح في كتابه "نقد العقل العملي" إلى أن الحاجة إلى الإله إنما تقوم على حاجة البشر إلى الأخلاق التي لا يقوم لها قائمة بغير تصور إله. (تراجع المقالة المتعلقة به في موسوعة ستانفورد في الرابط التالي: https://plato.stanford.edu/archives/fall2024/entries/kant/)

- وهل تعرضا هما أو أحدهما لدليل من أدلة وجود الله تعالى بالتضعيف؟
- وأين يتفقان؟ وأين يختلفان؟
- وما انفرد به أحدهما عن صاحبه في هذا المجال؟

خطة البحث:

تتألف هذه المقالة بالإضافة إلى خامة من ستة مباحث، كل منها يعتني بدليل أو نوع من الأدلة المعالجة لإثبات وجود الله تعالى. فسيأتي بنا الدليل الوجودي والدليل الكوني ودليل الغاية من أدلة وجود الله تعالى. وكذلك وجد في الغرب بعض الفلاسفة ممن حاول إثبات ضرورة وجود الله من خلال ما يعرف بالدليل الأخلاقي، سننظر فيه. ونلقي نظرة على فطرية وجود الله تعالى في هذا الضمن أيضا ونختم الفصل بالدليل الذي أقره بعض العلماء وهو إثبات وجود الله تعالى من خلال معجزة الأنبياء. بالنظر إلى ذلك، اختطت لهذه المقالة بعد المقدمة التي نحن فيها الخطة التالية:

- المبحث الأول: الدليل الوجودي،
- المبحث الثاني: الدليل الكوني (دليل الإمكان والحدوث)،
- المبحث الثالث: دليل الغاية،
- المبحث الرابع: دليل الأخلاق،
- المبحث الخامس: دليل الفطرة،
- المبحث السادس: إثبات وجود الله تعالى بمعجزات الأنبياء،
- الخاتمة ينتهي بها هذا المقال ويجد فيها القارئ سرد أهم ما أسفر عنه من النتائج.

المبحث الأول: الدليل الوجودي

الدليل الوجودي بنسخه المتعددة يشير إلى استخراج العلم بوجود الله تعالى من تصور الإله نفسه بغير حاجة إلى الاستناد إلى شيء من العالم الخارجي كما هو الحال في الأدلة الأخرى التي سندرسها في سياق المقارنة بين مواقف العلامة ابن عاشور والشيخ صبري في المباحث الآتية. فهذا الدليل يعده من يعتد به متجزيا بالقضايا التحليلية القبلية الضرورية للوصول إلى القول بوجود الإله.[9]

يعد القديس أنسلم[10] أبا عذرة هذا الدليل الذي قدمه في القرن الحادي عشر المسيحي، وشيده على تصور الأكمل الأعظم. ووجهه أن الفكر يستطيع أن يفترض موجودا لا أعظم منه ولا أكمل. وهذا الموجود لابد أن يكون متحققا في نفس الأمر؛ لأنه لو لم يكن كذلك، لأمكن أن يتصور موجود أعظم منه، ولكنه خلاف المفروض. فثبت أن ما يتصوره العقل من الموجود الأعظم الأكمل متحقق في نفس الأمر. فكأن هذا الدليل ينطلق مما في عقله من تصور إلى القول بتحققه في الخارج. وذلك الموجود الأكمل الأعظم هو الإله الذي نريد إثباته.[11]

---

[9] يراجع لذلك مقالة ستانفورد المتعلقة بالأدلة الوجودية على الرابط التالي:

Oppy, Graham, Joshua Rasmussen, and Joseph Schmid, "Ontological Arguments", The Stanford Encyclopedia of Philosophy (Winter 2024 Edition), Edward N. Zalta & Uri Nodelman (eds.), forthcoming URL = <https://plato.stanford.edu/archives/win2024/entries/ontological-arguments/>

[10] أنسلم (1033م – 1109م): فيلسوف إيطالي عرف في العصر الوسيط بلقب أوغسطس الثاني. كان أسقف كانتربري منذ 1093م. وهو صاحب البرهان على وجود الله تعالى المعروف بالبرهان الوجودي القائم على ضرورة مطابقة ما في أذهاننا من تصور الإله لما في نفس الأمر. (انظر: محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، ص 478)

[11] المرجع السابق.

ثم جاء في العصر الحديث أبو الفلسفة الغربية الحديثة رينيه ديكارت[12] وأقام منظومته الفلسفية على وجود الإله الذي استند في إثبات وجوده إلى الدليل الوجودي. وقرر أنه كما يتناقض تصور مثلث غير ذي ثلاثة أبعاد، يتناقض تصور هذا الموجود الأكمل الأعظم الذي هو الإله غير موجود.[13]

ثم جاء الفيلسوف ليبنتز[14] وحاول أن يسد في نسخة الدليل الديكارتية ما كان يراه فجوة. وذلك أن الدليل لايستقيم بغير أن نبرهن على أن تصور الموجود الأكمل الأعظم متسق أيضا و أنه ليس مستحيلا. ثم تعلل بأنه لايمكن أن نضع الإصبع في تصور الموجود الأعظم الأكمل الأوحد على ما كان تناقضا، فهو ليس مستحيلا.[15]

وقد تعرض هذا الدليل لانتقادات شديدة منذ ما قدم. وأشهر من انتقده في العصر الحديث هو الفيلسوف إيمانويل كانط الذي أشار إلى أن الدليل يفترض أن الوجود محمول حقيقي مع أنه مجرد رابطة. فهو مفهوم منطقي ليس وجوديا. والمنطقي لايلزم أن يكون ممكنا وجوديا.[16] ولم يحظ الدليل عند متكلمة الإسلام بحظوة إلا عند بعض الكتاب المعاصرين. قد قال الدكتور سعيد عبد اللطيف فودة[17] – وهو باحث ومتكلم معاصر – حول ذلك:

> "ويبدو أن الحجة الوجودية القائمة على الانطلاق من مجرد تحليل المفهوم الذهني للإله إلى إثبات الوجود الخارجي له لم تلاق قبولا بين الفلاسفة والمتكلمين في العصور الإسلامية. فبرغم بحثي عن قائل بها إلا أنني لم أجد شيئا من الأدلة يحقق معايير الحجة الوجودية." [18]

سننظر فيما يلي أين يقف الشيخ صبري والعلامة ابن عاشور من هذا الدليل إن كان لهما ذلك!

---

[12] [12] رينيه ديكارت (1596م – 1650م): فيلسوف فرنسي ورياضي. تخرج في المدرسة اليسوعية بلافليش وفي جامعة بواتييه، ثم التحق بالجيش. بعدئذ، قطن هولندا للبحث والتأمل قبل أن تدعوه ملكة سويد كريستينا سنة 1649م وتلبيها. مات بعد وصوله إلى السويد بقليل. من عبقريته أنه استطاع أن يعالج الجذور السالبة وينسق مجموعة رمز الجبر وينشئ الإحداثيات المعروفة باسمه. وابتكر كذلك الهندسة التحليلية. ثم إنه حاول تطبيق المنهج الرياضي على الفلسفة، وكان مفكرا حرا غير آخذ بالتقليد المدرسي. من مقولته الشهير التي تمثل موقفه المعرفي قوله: "أنا أشك. إذن أنا موجود". حاول بذلك أن يثبت أنا مهما شككنا، فلن نشك في وجودنا نحن. و أقام على ذلك وجود الله تعالى. كان جانحا إلى الثنائية في الوجود ويفصل فصلا حادا بين الفكر والمادة. يسمى ديكارت أبا الفلسفة الحديثة. كان لأفكاره تأثير عميق في المنحى التربوي في أوروبا فيما بعده. وهو منحى التفكير المنظم الحر. من كتبه التأملات في الفلسفة ومقال عن المنهج تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى. (انظر: محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، ص 1576)

[13] المرجع السابق.

[14] جوتفريت فيلهلم ليبنتز (1646م – 1716م): فيلسوف ورياضي ألماني، تعلم في موطنه ليبزج، في قصد بينا لمواصلة مسيرته التعليمة، وأنجز الدكتوراه في القانون في ألتدورف، ولكنه لم ينخرط إلى تدريس القانون بل اشتغل في مجال السفارة فعين في باريس وقضى فيها أربعة أعوام. لقد أبدع مجال حساب التفاضل والتكامل للمقادير المتناهية في الصغر باستقلال من نيوتن، ونشر عمله قبل نيوتن بتسعة أعوام، وقد قبل علماء هذا المجال اللغة والرموز التي استخدمها ليبنتز. من آراءه أن الوجود عدد لا نهاية له من الوحدات الروحية التي سماها مونادات، وهي مستقلة بذاتها. ومعظم ما خلفه من أعماله العلمية مقالات ورسائل تبادها مع أصدقاءه حول فلسفته. (انظر: محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة: 2202)

[15] يراجع لذلك مقالة ستانفورد المتعلقة بالأدلة الوجودية.

[16] المرجع السابق.

[17] سعيد عبد اللطيف فودة (مواليد مدينة الكرامة، 1967 م)، عالم دين مسلم له عدة مؤلفات. أستاذ في العقائد الإسلامية، وهو محقق ومتكلم وفق منهج أهل السنة الأشاعرة في العصر الحاضر، ولهُ دراية واسعة بعلوم الفلسفة والمنطق، ويجيد اللغة الإنجليزية بجانب اللغة العربية، ويلقب بأبي الفداء وسيف أهل السنة. أصل عائلته من مدينة يافا الفلسطينية، من قرية بيت دجن، هاجر أهله منها بعد الاحتلال الإسرائيلي فاستقروا في الأردن حيث ولد الشيخ سعيد.

[18] سعيد فودة، الأدلة العقلية على وجود الله بين المتكلمين والفلاسفة، ص 94، منشورات الأصلين، 2016م.

مصطفى صبري: أما الشيخ صبري فقد عرج على الدليل عندما تعرض للفيلسوف ديكارت، وأبدى عواره في رأيه مع ثناءه على الفيلسوف.[19] وكان سبب اشتغاله بنقد هذا الدليل أن بعض من كان يجله بدا معجبا به[20] وقد كان الشيخ صبري غير مرتاح للدليل الوجودي على وجود الله تعالى، ولم يكن يوصي به. فرأى لزاما على نفسه أن يبدي ما هو مبطن في هذا الدليل من ضعف ودخل. بين الشيخ أن هذا الدليل منطو على مغالطة خفية. وهي مصادرة على المطلوب.[21] ووجه ذلك:

"... أن استخراج البرهان على وجود الله من تصور القائلين به على أنه جامع لكل كمال. ومنه الوجود طبعا توهم محض من نوع المصادرة على المطلوب؛ لأن إثبات وجود الله يتوقف على كونه جامع كل كمال في حين أن الحكم بكونه جامع كل كمال يتوقف على كونه موجودا بناء على القاعدة المنطقية القائلة بأن صدق القضية الموجبة مشروط بوجود موضوعها. فيتوقف إثبات وجود الله على كونه موجودا وهو الدور[22] والمصادرة على المطلوب." [23]

ثم ذهن الإنسان يتصور ما شاء أن يتصور ومجرد تصوره شيئا لايستلزم وجوده في نفس الواقع. فقال الشيخ في هذا الصدد:

"وقد قال علماؤنا المنطقيون: لاحجر في التصورات. فقد يكون الذهن بسبب تصوره الله بمعنى الأكمل مضطرا إلى إضافة تصور إلى تصوره قائل[24] بوجود هذا الأكمل في الخارج من غير أن يكون لهذين التصورين المتولد بعضهما من بعض تأثير في الحقيقة." [25]

حتى إنا نسلم أن الذهن لايتصور الأكمل إلا مقرونا بالوجود في الخارج ونفس الأمر. ولكن تصور الذهن لهذا الموجود الأكمل في الخارج ونفس الأمر لايستلزم أنه فعلا يتحقق في الخارج. في هذا المعنى يقول الشيخ:

"ونحن نسلم بأن غاية الكمال لاتتصور مع عدم وجود الأكمل، وإنما يتصور الأكمل في الذهن مقترنا بوجوده حتى وجوده الخارجي[26] أي مقترنا بتصور وجوده في الخارج لكون[27] محل هذا الاقتران هو التصور الذي فيه مستع للموجود والمعدوم

---

[19] يقول الشيخ في موضع: "إني جد معجب بإيمان هذا الرجل العظيم الذي يكفيك شاهدا لعظمته في إيمانه وعلمه قوله: إن الله مبدأ العلم كما أنه مبدأ الوجود وهو مبنى اليقين النظري." (صبري، العقل والنقل: 178/2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2021م)

ويقول في موضع آخر عنه: "وهذا الرجل من كمال إيمانه بالله لاينتقل إلى إدراك وجود الله من وجود العالم كما هو الترتيب في الاستدلال المعروف بل عكسه." (المرجع السابق)

[20] صبري، العقل والنقل: 188/2.

[21] المصادرة على المطلوب هي توقف مقدمة الدليل على ثبوت المدعى أو هي الخطأ في الصورة حيث لا تنتج المقدمات غير نفسها مثل قولنا: هذه نقلة، وكل نقلة حركة. فهذه حركة. فهنا النقلة هي الحركة، ليست إلا. فالنتيجة التي هي "هذه حركة" لاتختلف عن المقدمة الصغرى التي هي "هذه نقلة". (التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: 2/ 1554)

[22] والدور عند الحكماء والمتكلمين والصوفية توقف كل من الشيئين على الآخر إما بمرتبة ويسمى دورا مصرحا وصريحا وظاهرا كتوقف الشمس كوكب نهاري والنهار زمان كون الشمس طالعة، وإما بأكثر من مرتبة ويسمى دورا مضمرا وخفيا كتوقف الحركة خروج الشيء من القوة إلى الفعل بالتدريج، والتدريج وقوع الشيء في زمان، والزمان مقدار الحركة ... والدور يستلزم التسلسل. (يراجع: التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: 1/ 811)

[23] المرجع السابق: 190/2.

[24] "قائل" صفة لتصور. يقصد أن الذهن يضيف إلى تصور الإله تصور آخر. ذلك التصور الآخر يشتمل على تصور وجود الأكمل في الخارج. فنسبة القول إلى التصور مجازي. كأن التصور حينما انطوى على شيء، فهو قائل به.

[25] المرجع السابق.

[26] يقصد أن تصور الوجود الخارجي لذلك الشيء أيضا تصور، لايتطلب بذاته تحققه في الواقع ونفس الأمر.

[27] تعليل لعدم استلزام تصور الوجود الخارجي تحققه في الواقع ونفس الأمر. ويقصد أن عدم الاستلزام ناشئ عن حقيقة وهي أن اقتران الشيء بالوجود إنما ينجم في الذهن، فلا يستلزم بذاته وبغير دليل آخر ما في الخارج ونفس الأمر.

والموجودين المتلازمين[28] والمعدومين المتلازمين. ولكن لا يلزم من حضور الأكمل ووجوده الخارجي في تصور الذهن مجتمعين غير منفكين تحققهما في الخارج كذلك." [29]

فعرفنا بذلك أن الشيخ غير راض بقيمة هذا الدليل في ميزان الاستدلال، ولا يعتد به. وهذا يخبرنا أيضا بأن الشيخ على الرغم من أنه وجد نفسه في خضم التيارات التي كانت تحاول أن تودي بأسس الإسلام التي من أولها وجود الله تعالى، على الرغم من ذلك لم يتسرع إلى أن يقبل بكل ما قيل في المحاماة عن تلك الأسس، بل كان متخيرا منه ما ألفاه في رأيه منسجما مع المنهج العلمي الرصين القائم على الاستدلال الصحيح، وملتزما به ومتقيدا.[30]

ابن عاشور: أما العلامة ابن عاشور فلم يعرج على هذا الدليل لا إثباتا ولانفيا. هذا وقد جنح صدر الدين الشيرازي[31] إلى أن نسخته للدليل الوجودي مشار إليها[32] في قول الله تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣ ﴾ [33]

ولكن لم يتعرض العلامة ابن عاشور في تفسير هذه الآية علاقتها بالدليل الوجودي مع أنه في تفسيره يلتزم عند تفسير آية أن يعالج ما يتصل بها لغة وفقها وكلاما.

المبحث الثاني: الدليل الكوني (دليل الإمكان والحدوث)

إن ما يسمى بالدليل الكوني هو في الحقيقة مجموعة من الطرق الدالة على وجود الله تعالى، وتنطلق من وجود هذا العالم المشاهد و تقرر أنه ممكن بمعنى الافتقار إلى غيره في الوجود وتحط رحالها عند موجود واجب الوجود،[34] يسمى الإله أو الله. ينبثق هذا الدليل عن السؤال الذي يثور في ذهن البشر وهو: "لماذا الوجود؟ ولم لم يوجد العدم؟"

أما فيما يتعلق بتاريخ هذا الدليل فيرجع الباحثون بجذوره في السياق الغربي إلى أفلاطون في كتابه "القانون". ولكن أرسطو هو الذي أبرز قسماته في "الطبيعيات" و"مابعد الطبيعة". ثم جاء دور الفلاسفة الإسلاميين الذين أثروا الحوار حول هذا الدليل الكوني. وقد أبدع ابن سينا من فلاسفة الإسلام نسخة من الدليل الكوني مبنية على تصور الإمكان، وقد تلقاها فيما بعد الفيلسوف المسيحي القديس توماس أكويناس.[35]

---

[28] عطف على "الموجود والمعدوم" تكميلا لإمكانات عقلية أخرى. فذكر أولا أن العقل كما يستطيع أن يتصور الموجود وأن يتصور المعدوم، كذلك يستطيع أن يتصور موجودين وينسج بينهما علاقة التلازم ، ومعدومين ويخيطهما بالتلازم. فهذا تفصيل لما أجمله من قبل حينما قال: "لا حجر في التصورات". ولكن هذه التصرفات العقلية التصورية بنفسها لا تستلزم الوجود الخارجي.

[29] صبري، العقل والنقل: 190/2.

[30] فلم يكن ذرائعيا (براجماتيا) يزن قوة الدليل بالفائدة المرجوة من وراءه.

[31] محمد بن إبراهيم بن يحيى القوامي الشيرازي الملا صدر الدين (980هـ-1050هـ = 1572م-1640م): فيلسوف، من القائلين بوحدة الوجود، من أهل شيراز، فارسي المحتد. عربي التصانيف رحل إلى أصبهان وتعلم فيها. وتوفي بالبصرة وهو متوجه إلى مكة حاجا. من كتبه أسرار الآيات و جزء في التفسير والأسفار الأربعة في الحكمة وشرح أصول السكاكي وشرح الهداية للأبهري في الحكمة. (الزركلي، الأعلام 5/ 303)

[32] صدر الدين الشيرازي، الأسفار الأربعة: 14/6، دار إحياء التراث العربي، 1990م.

[33] [فُصِّلَت : ٥٣].

[34] وقال العلامة التفتازاني: "الله تعالى أي الذات الواجب الوجود الذي يكون وجوده من ذاته، ولايحتاج إلى شيء أصلا." (التفتازاني، شرح العقائد النسفية، ص 31).

[35] تراجع مقالة ستانفورد المتعلقة بالدليل الكوني في الرابط التالي:

وإذا شئنا أن نعرف مسيرة هذا الدليل، فهذا الدليل ينتهي في ثلاث محطات:

- المحطة الأولى أنا نشاهد الحوادث مشاهدة لا تحتاج إلى استدلال عقلي. فإنها بديهية تأتي عن طريق الحس.
- المحطة الثانية أن الحوادث في ماهيتها تنطوى على الوجود بعد العدم. فهي ممكنة إمكانا بمعنى الاحتياج إلى غيرها في وجودها. ويستدل على سبق العدم لهذا العالم المشاهد وافتقاره إما بالحركة التي لابد لها من محرك غير متحرك وإما بتركب العالم الذي يستلزم احتياجه إلى من يركبه وإما بزيادة الوجود على الماهية وإما باحتياج العالم إلى مخصص وإما بغير ذلك من الاعتبارات. [36]
- المحطة الثالثة أنه لابد أن تنتهي سلسلة الحوادث أو الممكنات إلى الموجود الذي ليس حادثا ممكنا بل هو قديم واجب. سبب ذلك أن التسلسل باطل.

بهذا يثبت وجود الواجب الوجود.

عادة ما ينوع هذا الدليل إلى دليل الإمكان ودليل الحدوث. فالأول يثبت أن هذا العالم ممكن يحتاج إلى الواجب. والثاني يثبت أن العالم حادث يحتاج إلى المحدث. وعادة ما اتكأ الفلاسفة القائلون بقدم العالم بدليل الإمكان، ورفضوا دليل الحدوث بل سخروا منه. وأما المتكلمون فهم قبلوا دليل الإمكان، ولكن دليل الحدوث عندهم أكثر قبولا. والسبب أن العالم عندهم حادث. ثم الفرق بين المتكلمين والفلاسفة القائلين بقدم العالم أن الفئة الأولى ترى العالم ممكنا حادثا. فهو مفتقر إلى واجب الوجود ومنبثق من العدم إلى الوجود. أما الفئة الثانية فترى أن العالم ممكن محتاج يستلزم وجود واجب الوجود، ولكنه ليس حادثا بل هو قديم. ولكن المتكلمين لايفرقون بين الإمكان والحدوث تحققا. فالحادث عندهم ممكن. والممكن عندهم حادث. [37] ثم من ميزة دليل الحدوث أنه لايثبت ذات الله وحدها، بل يثبت إلى جانبها صفاته من الحياة والعلم والإرادة والقدرة أيضا فيما لايثبت دليل الإمكان إلا ذات الله تعالى الواجبة الوجود المحتاج إليها.

لننظر ما كان لدى الشيخ صبري والعلامة ابن عاشور من كلام حول هذا الدليل!

مصطفى صبري: أما الشيخ صبري فأول ما نريد أن نلفت نظر القارئ إليه هو أنه أيضا لايفصل بين الدليلين، بل يؤلف بينهما، وقد أشار إلى ذلك بنفسه بقوله:

"كنا جنحنا في الخلاصة السابقة إلى مسلك الإمكان ونجنح في التفصيل إلى مسلك الحدوث لكونه أوضح." [38]

فعرفنا من ذلك أنه يجمع بينهما في سياق واحد ويرى الحدوث والإمكان متلازمين. ثم الملاحظ أن الشيخ صبري أكثر تفصيلا من العلامة ابن عاشور الذي سيأتي موقفه، فهو يبدأ بإيضاح التصورات، ويقول:

"وليس في الموجودات ما يثبت وجوده من طريق وجوبه، إلا الله؛ لأن كل ما سواه موجود، لا ضرورة لوجوده، ولا استحالة لعدمه، ويسمونه الممكن، والله هو الواجب. فلا موجود أحق منه تعالى بأن يكون موجودا، فهو أحق بالوجود من مثبتيه

Reichenbach, Bruce, "Cosmological Argument", The Stanford Encyclopedia of Philosophy (Summer 2024 Edition), Edward N. Zalta & Uri Nodelman (eds.), URL = <https://plato.stanford.edu/archives/sum2024/entries/cosmological-argument/>

[36] سعيد فودة، الأدلة العقلية على وجود الله: 149.

[37] سعيد فودة، الأدلة العقلية على وجود الله: 217.

[38] هامش صبري، العقل والنقل: 142/2.

ونُفاته، ومن كل ما يثبته المثبتون، وليس في الدنيا أحمق وأضل من نفاته، أو الشاكين في وجوده؛ إذ يمكن كلَّ شيء أن لا يكون موجودا، أويُشكَّ في وجوده، لأنه ممكن يقبل الوجود والعدم، ليس وجوده إذا كان موجودا ضروريا، ولا عدمه إذا كان معدوما ولا يمكن أن لا يكون الله موجودا، ولو فرض عدمه كان هذا فرضَ عدم من يجب وجوده، وهو تناقض محال. أما أنه لا بد في الموجودات من وجود موجود، واجب الوجود، فنحن نحكم به، موقنين من دون أن نراه، مستدلين على وجوده من وجود الموجودات الممكنة الوجود، التي نراها، ونشاهدها، والتي لا يتسنى لها أن توجد، لولا وجود ذلك الموجود، الواجب الوجود." [39]

فيقوم الشيخ صبري بتوضيح مصطلحات الوجوب والإمكان والمتناع فيقول:

"وتوضيح هذا المقام أن الموجود ينقسم إلى الواجب والممكن. والمعدوم ينقسم إلى الممتنع والممكن. فالواجب ما لا يمكن عدمه، وهو الله. والممتنع ما لا يمكن وجوده كشريك الباري واجتماع النقيضين. والممكن ما لا ضرورة في وجوده ولا في عدمه. فمنه ما يكون موجودا، ومنه ما يكون معدوما." [40]

ثم يذكر مثالا لكل من الواجب والممكن ويقول:

"مثال الأول جميع الكائنات المسمى بالعالم، والمفسَّر بما سوى الله. ومثال الثاني العنقاء، فهي معدومة، لا يمتنع وجودها. والعالم بجميع أجزائه، موجود لا يمتنع عدمه، لعدم كونه واجب الوجود". [41]

لم يذكر مثال الممتنع بما أنه لم يتعلق به غرض له في هذا السياق. ثم أشار إلى المحطة الاولى من الدليل بقوله: "العالم بجميع أجزائه موجود ... لعدم كونه واجب الوجود".

ثم يخطو الشيخ خطوة إلى الإمام وينزل في المحطة الثانية حينما يذكر الحكم المتعلق بالممكن بقوله:

"وجود الموجود في غير واجب الوجود، أي في الممكنات لا يكون إلا بإيجاد، وإلا لزم الرجحان من غير مرجح، وهو محال متضمن للتناقض؛ لأن الممكن الذي لا يكون وجوده ولا عدمه ضروريا، وتكون قابليته للوجود والعدم على السواء، من غير رجحان أحد الجانبين على الآخر، إلا بمرجح خارج منه، لو[42] كان موجودا بنفسه من غير موجد يرجح له جانبَ الوجود، لزم رجحان هذا الجانب، من غير مرجح يرجح له ذلك، لا من نفسه لتساوي الجانبين بالنسبة إليه، ولا من الخارج لعدم وجود موجد له، والرجحان من غير سبب مرجّح محال مناقض لتساوي الطرفين المفروض"[43]. [44]

ثم يطبق هذا الحكم على العالم ويقول:

---

[39] صبري، العقل والنقل: 2/3.

[40] المرجع السابق.

[41] المرجع السابق: 2/62 – 63.

[42] "لو ..." خبر لقوله: "لأن الممكن الذي ...".

[43] المفروض صفة لقوله: "تساوي" لا "الطرفين".

[44] صبري، العقل والنقل: 2/62 – 63.

"ومن أجل أنه ممكن لا واجب، فهو يحتاج إلى موجود آخر يتقدمه في الوجود، ليستند وجودهُ إلى وجودِهِ، ولا يكونَ له الوجودُ المشهودُ رجحانا من غير مرجحٍ، أي محالا كما علمت ذلك، مع أن المحال لا يكون واقعا مشهودا فوجود العالم يدل دلالة قطعية على وجود موجود آخر وراءه، لعدم إمكان أن يتسنى له الوجود بدون هذا الموجود". [45]

كأن الشيخ لم يتطرق إلى المحطة الثالثة، وربما يذهب ظن القارئ إلى أنه أجرى الدليل الكوني بغير أن يعرج على إبطال التسلسل، وقد ظن هذا الأمر قبل ذلك، ورده العلامة التفتازاني – رحمه الله تعالى – أيضا بل صرح بأن هذا الدليل بهذا التفصيل الذي ذكرناه عن الشيخ صبري متضمنا لإبطال التسلسل. فقال:

"وقد يتوهم أن هذا دليل على الصانع من غير افتقار إلى إبطال التسلسل، وليس كذلك. بل هو إشارة إلى أحد أدلة بطلان التسلسل وهو أنه لو ترتب سلسلة الممكنات لا إلى نهاية، لاحتاجت إلى علة وهي لايجوز أن يكون نفسها ولا بعضها لاستحالة كون الشي علة لنفسه ولعلله بل خارجا عنها، فيكون واجبا، فتنقطع السلسلة." [46]

وقد أشار الشيخ بهذا الوجه بعد ما مر بقليل فقال:

"فقد انجلى من هذا أن العالم الذي يحتاج في وجوده إلى غيره لايمكنه أن يقضي حاجته هذه من نفسه ومن داخله لشمول الإمكان الذي هو رمز الحاجة جميع[47] أجزاءه فيلزم وجود موجود آخر غير محتاج ليقضي حاجة العالم المحتاج ويكون موجده." [48]

فأشار في قوله: "موجود آخر غير محتاج" إلى أن الواجب الذي يحتاج إليه الممكن يلزم أن يكون غير محتاج. فالذي لايحتاج إلي غيره تنقطع عنده السلسلة. فالدليل قائم على الإقرار ببطلان تسلسل العلل والمعلولات. بل قد صرح المصنف على وجه كلي بعد صفحات أن كل دليل يقام على إثبات وجود الله تعالى مبني على بطلان التسلسل. فإنه قال في سياق احتياج الإدراك الحاصل بالحواس إلى الخالق:

"نعم، كون خالق هذا الإدراك بواسطة الحواس هو الله إنما يتم بعد أن ينضم إلى دليلي هذا دليل بطلان التسلسل الذي احتاج كل دليل لإثبات الواجب إلى انضمامه إليه." [49]

ابن عاشور: أما العلامة ابن عاشور فقد تعرض للدليل الكوني من جهة الإمكان ومن جهة الحدوث. ونجده يذكر الحدوث والإمكان في سياق واحد. قد ذكر ذلك في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ [50] حيث قال:

"وفي الآية معنى ثالث وهو انتهاء دلالة الموجودات على وجود الله ووحدانيته لأن الناظر إلى الكائنات يعلم أن وجودها ممكن غير واجب فلا بد لها من موجود، فإذا خيلت الوسوسة للناظر أن يفرض للكائنات موجدا مما يبدو له من نحو الشمس أو القمر أو النار لما يرى فيها من عظم الفاعلية، لم يلبث أن يظهر له أن ذلك المفروض لا يخلو عن تغير يدل على

---

[45] المرجع السابق: 62/2 – 63.

[46] التفتازاني، شرح العقائد النسفية: 31 - 32.

[47] مفعول به للمصدر "شمول".

[48] صبري، العقل والنقل: 64/2.

[49] المرجع السابق: 73/2.

[50] [النَّجْم : ٤٢]

حدوثه فلا بد له من محدث أوجده فإذا ذهب الخيال يسلسل مفروضات الإلهية كما في قصة إبراهيم " فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ ﴿٧٦﴾ [الأَنْعَام : ٧٦] الآيات، لم يجد العقل بدا من الانتهاء إلى وجوب وجود صانع لممكنات كلها، وجوده غير ممكن بل واجب، وأن يكون متصفا بصفات الكمال وهو الإله الحق، فالله هو المنتهى الذي ينتهي إليه استدلال العقل." [51]

فالملاحظ هنا:

- أنه ذكر المحطة الأولى بقوله: "انتهاء دلالة الموجودات على وجود الله".
- ثم أشار إلى المحطة الثانية حينما ذكر وجه هذه الدلالة بأن "وجودها ممكن غير واجب، فلا بل لها من موجود."
- وأنه ورد المحطة الثالثة حينما نفى التسلسل بقوله: "فإذا ذهب الخيال يسلسل مفروضات ..."
- هذا والعلامة ذكر الإمكان والحدوث في سياق واحد. فذكر في البداية "أن وجودها ممكن" ثم قرر حدوث هذا الممكن بقوله: "لا يخلو عن تغير يدل على حدوثه فلا بد له من محدث أوجده"، فانتهى إلى إثبات ذات الله مع صفاته بقوله: "وجوده غير ممكن بل واجب، وأن يكون متصفا بصفات الكمال". فعرفنا بذلك أن العلامة على غرار تيار المتكلمين لايفصل بين الممكن والحدوث، بل يرهما متلازمين فيؤلف بين الدليلين.

فتحصل لنا بهذا التفصيل أن العلامة ابن عاشور سار نفس المسير الذي ساره الشيخ صبري في تقرير الدليل الكوني وفي التأليف بين الوجه الإمكاني والوجه الحدوثي.

المبحث الثالث: دليل الغاية

إن العالم يشع بحسن الهيئة ودقة جريان ما فيه من الحوادث وإنه يمتلئ تناغما وانسجاما، أمكن معه أن يلائم حياة البشر. ثم إن هذا العالم أيضا معقول، يقدر العقل أن يتفهم ويدرك القوانين التي تحكمه. فانتقل ذهن بعض الناس من ذلك إلى أن وراءه عقلا مريدا مدبرا وهو وراء هذا الكون. وقد درجت الأذهان الفلسفية على صبغ هذه الفكرة في صورة فلسفية من دليل علمي منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا. وهذا الدليل قوامه العناية والإتقان والخطة والغاية والإرادة والتصميم، يلقب بالدليل الغائي أو دليل التصميم الذكي أو دليل العناية. هذا الدليل أقرب الأدلة إلى أذهان عامة الناس. وإليه أشار قول الأعرابي الشهير حيث قال:

إن البعرة تدل على البعير، وآثار القدم تدل على المسير، فهيكل علوي بهذه اللطافة ومركز سفلي بهذه الكثافة أما يدلان على الصناع الخبير.[52]

وقد أشار إليه إمام الهدى الإمام الماتريدي في تفسيره حيث قال:

"قوله عز وجل: " وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ ﴿١٤١﴾" [53]. ذكر هذا – والله أعلم – مقابل ما كان منهم من تحريم ما أحل الله لهم ورزقهم من الحرث، والزرع، والأنعام، والانتفاع بها، فقال: أنشأ جنات وبساتين من تأمل فيها وتفكر، عرف أن منشئها مالك حكيم مدبر؛ لأنه ينبتها ويخرجها من الأرض في لحظة ما لو اجتمع الخلائق على

[51] محمد، ابن عاشور، التحرير والتنوير: 27/ 141، مكتبة مصر، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997م.

[52] ابن جوزي، زاد المسير في علم التفسير: 1/ 266، دار الكتب العربي، بيروت، 2001هـ.

[53] [الأَنْعَام : ١٤١].

تقديرها: أن كيف خرج؟ وكم خرج؟ وأي قدر ثبت؟ ما قدروا على ذلك؛ كقوله: " وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ١٩" [54] ويخرج من الورق والثمار على ميزان واحد: ما لو جهدوا كل الجهد أن يعرفوا الفضل والتفاوت بين الأوراق والثمار ما قدروا، وما وجدوا فيها تفاوتا. ويخرج –أيضا– كل عام من الثمار والأوراق ما يشبه العام الأول. فدل ذلك كله أن منشئها ومحدثها مالك حكيم، وضع كل شيء موضعه." [55]

هذا ويمكن توزيع الاستدلال بهذا الدليل في صورة علمية محكمة إلى المحطات التالية:

- أن الكون يشتمل على صنع وتوافق وتأليفات، لاحصر لها، مناسبة لحياة الإنسان. وذلك بحسب مراحل حياته المختلفة.
- لايمكن عند النظر المتعقل أن نزعم أن كل ذلك التوافق في الخلق يكون صدفة وبطريقة عشوائية.
- إذا بطل أن يكون ذلك بطريقة عشوائية، فإنه يلزم أن نقول: إن الترتيب المشار إليه لايتم إلا بصانع ومدبر قاصد إلى هذه الهيئة دون غيرها؛ لأنه لايوجد احتمال ثالث غير هذين الاحتمالين. فإن بطل أحدهما، لزم الآخر خصوصا إذا كان أقرب إلى تفسير الظاهرة وممكنا في نفسه ومقبولا عقلا.
- كل ذلك يدل دلالة كافية على أن الإله المدبر هو من اعتنى بهذه الخلقة لكي تحصل على هذه الصورة من التناسب والتوافق والتلاؤم.
- إذن الإله موجود بما تدل عليه هذه الطريقة من النظر. [56]

هذا وقد ذكر بعض الباحثين دليل التعاون مستخرجا من كلام الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي، قوامه أن هذا الكون يحوي كائنات شتى، فهي تتكامل وتتناغم وهي تتعاون وتتعاضد، وإذا ذهبنا نبحث عن سر هذا التكامل والتناغم وهذا التعاون والتعاضد، لم نجده عند أحد من الخلق. فلا بد من الاعتراف بأن هذه الكائنات الشتيت تحت رعاية رب واحد أحد. فعرفنا بذلك وجود الإله.[57] ولكن الحقيقة أن هذا ليس دليلا مستقلا، بل هو وجه من وجوه دليل الغاية والعناية. فإنه يدل على عناية ربانية سارية في هذا الكون. وكذلك نجد الباحث صير "دليل النظام" دليلا مستقلا عن دليل العناية مع أن كل ما في دليل النظام هو "وضع الأرض داخل المنظومة الشمسية وجريانها بنظام متقن"[58]، فهو في حقيقة الأمر وجه من وجوه دليل العناية والغاية، ليس إلا.

لننتقل إلى الشيخ صبري والعلامة ابن عاشور وننظر ما لديهما حول هذا الدليل!

مصطفى صبري: أما الشيخ صبري فقد أثنى على هذا الدليل – دليل الغاية – وسماه دليل القرآن واعترف بأنه أكثر الأدلة جلاء لوجود الله تعالى. قال:

"ولامانع من أن نسوقه نحن في هذا الكتاب دليلا لإثبات وجود الله كما فعله علماء الغرب وقد اعتنى القرآن الكريم به أكثر من غيره حتى أمكنت تسميته بدليل القرآن؛ لأن كثيرا من آياته ... طافح به، وهو أثرى الأدلة وأوسعها وأكثرها استعدادا لنصرة المستدل وخذلان المنكر وأوفقها لأمزجة العصريين." [59]

---

[54] [الحِجْر : ١٩].

[55] الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 4/ 272.

[56] سعيد فودة، الأدلة العقلية على وجود الله: 325 – 326.

[57] أحمد محمد سالم، تجديد علم الكلام قراءة في فكر بديع الزمان سعيد النورسي: 245 – 246. (لم أجد تفاصيل الطباعة في النسخة المتوفرة على الشبكة).

[58] المرجع السابق: 251 – 252.

[59] صبري، العقل والنقل: 2/292.

والجدير بالذكر هنا أن الشيخ يضع هذا الدليل في موضعه اللائق به في علم المعرفة – وهو الأمر الذي لم نجده لدى العلامة ابن عاشور كما سيأتي – فيصرح بأنه دليل مبني على التجربة. فيستهل بيانه لهذا الدليل بقوله:

"إن مسألة وجود الله الذي هو أساس الدين لايعوزنا إثباتها بالدليل التجربي بعد إثباتها بالدليل العقلي. فإليك الدليل الذي يسميه الفلاسفة دليل العلة الغائية والمتكلمون من علماء الإسلام يسمونه دليل الحكمة، ودليل نظام العالم ويستدلون به على صفات الله." [60]

فقوله هذا يوضح لنا أن هذا الدليل مبني على التجربة وأنه "دليل تجربي" وأنه لايثبت ذات الله تعالى، بل يثبت صفاته. ثم نقل عن بعض الباحثين أن سقراط هو واضع هذا الدليل وأن أفلاطون ونيوتن[61] أكدا دلالة هذا الدليل. [62] هذا ويمكن تلخيص الدليل عند الشيخ في النقاط الآتية:

- كل ما يوجد في العالم من الإتقان يدل على كائن "مدرك مريد". فما ذلك المدرك المريد؟ يقول الشيخ إجابة لهذا التساؤل: "فهذا الإدراك وهذه الإرادة المحسوستان[63] في نظام العالم حسا لاقبل لإنكاره يضطراننا[64] إلى الفحص عن وجود مدرك تحار الألباب في مدى عظمة إدراكه ... فمن هذا المدرك؟"[65]
- أهو مادة؟ ولكن المادة العديمة الحياة لايمكن أن يكون مدركا مريدا؟ فإن الإدراك من شرطه الحياة كما مر.[66] فيستحيل أن تكون الطبيعة ذلك المرشح. ثم تحليل ما يسمى بالطبيعة لايشكف عن عنصر مدرك مريد. لذلك نجد أن الملاحدة يستندون إلى المصادفة لتفسير ما يشاهد في العالم من الانتظام. يقول الشيخ بهذا الصدد: "هل هو المادة التي لامناسبة بينها وبين الإدراك؟ حتى إن الإنسان ينطوي على الإدراك وينطوى على المادة ولاتشعر مادته بما فيه من الإدراك. فلو كان الإدراك في مادته لأدرك بيديه ورجليه كما أدرك بعقله. وحتى إن هذا الإنسان المدرك لا يبلغ إدراكه كل ما يجري في بدنه من نظام الحياة. فمادة الإنسان التي هي أقرب المواد إليه تأبى أن تنقاد لإدراك وتدخل في حوزة شموله. فكما أن المادة ليست من شأنها أن تدرك، فليس من شأنها أن يتصل بها الإدراك. فبينها وبين الإدراك تناف من الطرفين حتى إن المخ الذي يعتبر الماديون لإدراك فعله، ليس له شعور بنفسه. بله أن يكون هو المدرك والإنسان المدرك أيضا لايشعر بوجود مخه إلا بوساطة التعلم والاستخبار."[67]
- ثم أهو الإنسان نفسه؟ ولكن لاقائل به. وقاضي الحس يقضي بأن الإنسان يستحيل أن يكون هو ذلك المدرك الذي أوجد هذه الدقة. يقول الشيخ: "فيفهم من جميع ذلك أن الإنسان المدرك يعيش تحت سلطان إدراك آخر أعظم من إدراكه وأعم. وإذا كان الإنسان المدرك لايكفيه إدراكه فيكون تحت سلطان إدراك آخر، فما بال غيره من المواد التي لا علاقة لها بالإدراك أصلا."

---

[60] المرجع السابق.

[61] إسحاق نيوتن (1642م – 1767م): فيزيائي ورياضي وفيلسوف إنجليزي. يعد من أعظم علماء القرن الثامن عشر في الفيزياء والرياضيات. حلل الضوء العادي إلى ألوان الطيف المعروفة بمعونة المنشور الزجاجي. كان عمله هذا حجر زاوية لعلم الطيفيات. ومن إنجازاته بالإضافة إلى ذلك التوفيق بين النظرية الجسيمية والنظرية الموجية لتفسير ظواهر الضوء المختلفة واختراع المنظار الفلكي الحاوي للمرآة العاكسة ووضع قوانين الجاذبية والحركة المشهورة. وقد تخيرته الجميعة الملكية بإنجلترا رئيسا لنفسها تقديرا لأعمالها. (انظر: محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة: 3460)

[62] صبري، العقل والنقل: 292/2.

[63] كان الأفضل أن يغلب تذكير كلمة الإدراك على تأنيث كلمة الإرادة كما هو الغالب في كلام العرب ويقول: "المحسوسان"، ولكنه اعتد بالأقرب، فأعطى له الأولوية، فقال: "المحسوستان".

[64] وقد راعى هنا الأفصح، وعاد بالضمير المبني للتذكير، ولم يقل: "تضطراننا".

[65] صبري، العقل والنقل: 293/2.

[66] تراجع ص 97 ومابعدها من هذه الرسالة.

[67] صبري، العقل والنقل: 293/2.

- فيدل كل ما مر على أن وراء هذا العالم موجودا يملك الإدراك والإرادة وهو الذي خلق هذا الكون وأتقنه. وهو الله الذي نريد إثباته. يقول الشيخ في صدده: "فكل ما في الكون من نظام وإحكام ينتهي العلماء الكاشفون أسرارهما ولا تنتهي أسرارهما يدل دلالة ناصعة على علم واضعيهما وإرادته وقدرته اللامتناهية وبالأولى على وجوده."[68]

بذلك انتهى معالجة الشيخ صبري لهذا الدليل دليل العناية.

ابن عاشور: أما كلام العلامة ابن عاشور عن دليل الغاية وهو في سياق تفسيره كلام الله تعالى فحدث عن البحر ولاحرج. فالعلامة ابن عاشور – رحمه الله تعالى — يثير في ثنايا تفسيره ما كمن في الآيات الكريمة من الدلائل على وجود الله تعالى المبنية على الاستدلال بخلق الله تعالى وما أودعه في العالم من الأسرار. وإنما نجتزئ بواحد منها. فقد ذكر تحت قول الله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾[69] ما يلي:

> "وهذا التكوين العجيب كما يدل على إمكان الإيجاد بعد الموت يدل على تفرد مكونه تعالى بالإلهية إذ لا يقدر على إيجاد مثل الإنسان غير الله تعالى فإن بواطن أحوال الإنسان وظواهرها عجائب من الانتظام والتناسب وأعجبها خلق العقل وحركاته واستخراج المعاني وخلق النطق والإلهام إلى اللغة وخلق الحواس وحركة الدورة الدموية وانتساق الأعضاء الرئيسة وتفاعلها وتسوية المفاصل والعضلات والأعصاب والشرايين وحالها بين الارتخاء واليبس فإنه إذا غلب عليها التيبس جاء العجز وإذا غلب الارتخاء جاء الموت." [70]

فالعلامة استدل بكل ما في هذا العالم الكبير والعالم الصغير الذي هو الإنسان على وجود موجود مدبر مريد.

المبحث الرابع: دليل الأخلاق

لقد رأينا أصنافا من المناحي الدالة على وجود الله تعالى من الدليل الوجودي والدليل الكوني ودليل الغاية. ولكن القائمة لم تنته بعد. فإنه قد وجد أناس، استندوا إلى ناحية أخرى من حياة البشر لإثبات وجود الله تعالى. وهي أشد نواحيه خطورة. ألا وهي ناحية الأخلاق. والدليل الذي يستدل بوجود الأخلاق على وجود الله تعالى هو المسمى بدليل الأخلاق. ينطلق هذا الدليل من إثارة سؤال عن وجود الأخلاق في البشر ما مصدره؟ فيمثل أمامنا ثلاثة احتمالات:

- أن مصدره هو الله تعالى،
- وأن مصدره هو طبيعتنا. فهي مغروزة فينا، ولانستطيع أن نتملص منها مهما ابتغينا.
- وأن مصدره أعراف الناس.

لاغرو أن الاحتمال الأول يفترض وجود الله تعالى مسبقا. فهو لايدخل فيما نحن فيه. فإنا نتحدث عن الوضع الذي لم يثبت وجود الله تعالى بعد. وأما الاحتمال الثالث فهو قائم على أن الأخلاق ليست شيئا حقيقيا، بل مما يصطلح عليه الناس. فليس لها أساس موضوعي. بل هي تابعة للأعراف تتفاوت بتفاوتها.

---

[68] المرجع السابق: 295/2.

[69] [الذَّارِيَات : ٢١].

[70] محمد، ابن عاشور، ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 353.

أما الاحتمال الثاني فهو الذي يعنينا هنا، وهو يفترض أن الأخلاق لها أساس موضوعي، وهي مطلقة في أساسها. وهذا الاحتمال هو الذي يستند إليه من يريد إثبات الإله. لابد من التنبيه هنا على أن من القائلين بموضوعية الأخلاق من هو ملحد. على كل حال، نرجع إلى إثبات الإله بالاستناد إلى موضوعية الأخلاق، ونخص بالذكر الفيلسوف كانط الذي هو أشهر من عرف بهذا الدليل لإثبات الإله في العصر الحديث. فدليله يقوم على القوائم التالية:

- أن الناس يحملون شعورا بالأخلاق وإحساسا بالصواب والخطأ بغض النظر عن مآلها ونتائجها، ويسميها الأوامر المطلقة الحتمية[71] ويقابلها الأوامر المشروطة[72]
- وأن المعيار المفروض هو أن الفضيلة والسعادة متلازمتان حيث تؤدي الأولى إلى الثانية،
- ولكنا لانشاهد الأمر كذلك حولنا، فلانستطيع الجزم بأن الفضيلة بالفعل تؤدي إلى السعادة. فما الذي يبعث الناس على الاعتقاد بالتلازم بينهما أو ما سبب وجود الأوامر المطلقة؟
- فأجاب عن ذلك بأن هذا الاعتقاد المغروز فينا يفترض مسبقا ثلاثة تصورات:
  - الحرية: فالتجربة الأخلاقية لا يمكن أن تتحقق بغير الحرية، فلا أخلاق حيث الإكراه.
  - الخلود: فالإنسان إنما ينبعث إلى التخلق لما يعتقد من أنه سيحظى بالسعادة في نهاية المطاف ولو كان ذلك في حياة أخرى.
  - الإله: هذه المنظومة الأخلاقية لاتنضبط بغير الإله الذي يعطي السعادة في مقابلة التخلق.

فالإله لايمكن أن يثبت عند كانط بالأدلة العقلية. ولكن شعورنا بالالتزام والتخلق ينبني على تصور الإله، ولا تقوم له قائمة بغيره.[73]

ولنر ما كان رأي الشيخ صبري والعلامة ابن عاشور من هذا الدليل إن كان لكل منهما حوله رأي!

مصطفى صبري: أما الشيخ صبري فقد انتقد هذا الدليل انتقادا وأظهر مثالبه. فإن هذا الدليل قائم على افتراض أن الإيمان يمكن أن يكون أقوى من العلم ولكنه مغاير للعلم الذي سبيله العقل. فالإيمان هو العاطفة. لقد ذكر الشيخ عن الفيلسوف كانط موقفه قائلا:

> "إن هذا الإيمان كثيرا ما يكون أقوى من العلم. ومع هذا فليس في هذا الإيمان إيقان علمي مثل ما كان في إيمان المؤمن المستدل بالأدلة العقلية التامة عند غير كانط من العلماء." [74]

ثم يبدأ الشيخ في سرد دليل كانط، ويمكن تقطيعه في القطع التالية:

- الخير الأعلى لايتحقق إلا باجتماع الأخلاق والسعادة، والأخرى تترتب على الأولى.
- ولكن ليس بأيدينا حصول السعادة وترتبها على عملنا لكونها مربوطة بالطبيعة الخارجية وبإرادات أناس غيرنا.
- فيلزم لهذا أن توجد إرادة فوق الطبيعة والبشر، وهي إرادة الله.[75]

---

[71] وهي ما كان مقصودا بذاته، ولا يبتغي لأجل غاية أو هدف وراءه. ويقال لها بالإنجليزية:
Categorical Imperative.

[72] هي المحتاج إليها لإنجاز غاية أو تحقيق هدف، وليست مقصودة لنفسها. ويقال لها بالإنجليزية:
Hypothetical Imperative

[73] كل ما مر من التفصل من بداية هذا المطلب إلى هنا مأخوذ من:
Mell, Thompson, Understand the Philosophy of Religion, 123 – 126, Teach Yourself, Editon: 2010.

[74] صبري، العقل والنقل: 95/3.

[75] المرجع السابق.

ثم يلخص الشيخ هذا الدليل بقوله:

فتكون خلاصة الدليل مبنية على حاجة الإنسان في الاحتفاظ بأخلاقه إلى وجود الله حتى يكون هو الذي بيده مكافأته عليها حيث لامكافئ.[76]

ثم يأخذ الشيخ في إيراد الاعتراضات على الدليل، ونسرده فيما يلي:

مصادرة على المطلوب: أول ما يعترض به الشيخ على الدليل أنه منطو على مصادرة على المطلوب، ويقول:

فبنى مسألة وجود الله على دليل الأخلاق أي على حاجة الأخلاق إلى وجوده، فأصبحت الأخلاق دليلا على وجود الله ومحتاجة إليه معا وهو دور أو مصادرة.[77]

الدليل مخصوص بفئة معينة: إن حاجة الاحتفاظ بالأخلاق إلى وجود الله لايستلزم وجود الله تعالى بذاته، وإنما يستلزم لدى أصحاب الفضيلة وأرباب الأخلاق. فالدليل خاص بهؤلاء الناس. ومن الممكن بل الواقع أن ينسلخ الإنسان عن القول بأهمية الأخلاق، فيبقى الدليل له غير ملزم. في هذا يقول الشيخ:

"لايلزم أن يكون الله موجودا بمجرد أن الإنسان في حاجة إلى وجوده لاسيما وأن المحتاجين إلى وجوده أصحاب الفضيلة والأخلاق لا كل إنسان وإن كانوا هم صفوة بني نوعهم وإن كان في علاقتهم الخاصة بالدين وبعقيدة وجود الله الفخر كل الفخر للدين. وفي تثبيت هذه العلاقة الحسن كل الحسن لدليل كانط." [78]

إلى أن قال:

"والذي نرى فيه من العيب أنه لايكون دليلا حاسما يحصل به إلزام الغير كما يحصل بأدلة وجود الله النظرية المعروفة التي يعيبها كانط." [79]

وهذا الوجه مهم في فهم ما سأقرره من موقف العلامة ابن عاشور من هذا الدليل، فإنه لا ينسجم مع المنظومة الأشعرية.

عدم وفاءه بميزان الدليل: تصور الدليل عند علماء المنطق والكلام والفلسفة يقوم على أساس أنه يفيد العلم بالشيء في نفس الأمر. وأما الحاجة والضرورة والمصلحة فليست من الدليل في شيء في هذا العلم.[80] في هذا المعنى يقول الشيخ:

"والمعروف عند أهل العلم أن الدليل يكون عبارة عما يفيد العلم ويوصل إلى الحقيقة لا ما يصور حاجة أو يؤيد فضيلة أو يتضمن مصلحة مهما كانت مصلحة عظيمة، ولايقنع المؤمن المخلص أن يعتقد وجود الله لا لكونه موجودا في الواقع بل لكون مصلحته ومصلحة الدنيا كلها في وجوده." [81]

---

[76] المرجع السابق: 95/3.

[77] المرجع السابق: 97/3.

[78] صبري، العقل والنقل: 95/3.

[79] المرجع السابق: 98/3.

[80] نعم، يمكن أن تكون من الدليل في علم الفقه، ولكنها في الفقه أيضا إنما تشير إلى أن الشرع اعتد بهذه الأمور. ثم هي من الظنيات، والكلام هنا في قواطع الأدلة.

[81] صبري، العقل والنقل: 96/3.

عدم ثبوت الإله الواجب الوجود: من الدخل في هذا الدليل عند الشيخ أنه ليس حاسما وأنه غير مبني على المقدمات الضرورية التي ثمرتها برد اليقين وإلزام الآخرين، وأنه يجعل الدين حاجة وجدانية وضرورة اجتماعية، وليست بحقيقة ملجئة للعقول إلى قبولها. فإذا ذهبنا نقارن بين دليل الأخلاق ودليل الحدوث وجدنا الأول قائما على أمر عادي لا على وجوب واستحالة عقليين حيث إن إنكار أهيمة الأخلاق لايستلزم شيئا من المحال فيما يستلزم إنكار الواجب الوجود استحالة كما بينا في تقرير الدليل فيما سلف. فعصارة الأمر أن واهب الأخلاق الذي يتبع دليل الأخلاق ليس واجب الوجود. في هذا يقول الشيخ:

"... إلا أن هذا الاحتمال لا يستحيل بالمرة، استحالة عدم وجود الله. وإذا لم يستحل استحالة عدم وجود الله، فلا يبنى إثبات وجود عليه ... وإن لم يكن الاحتمال المذكور محالا عقليا – وهو المحال الحقيقي – لم يكن عدم وجود الله أيضا محالا لكون دليل وجوده مبنيا على استحالة الاحتمال المذكور، وبقي هذا الدليل على ضعفه وعدم كفايته في مطلب يقيني يجب أن يكون في رأس المطالب اليقينية حيث لايفيد ضرورة وجود الله، ونعني بضرورة وجوده الضرورة العقلية بمعنى استحالة عدم وجوده عقلا لا الضرورة الاجتماعية." [82]

وقال في موضع آخر:

"قد كنت قلت فيما سبق: إن الله بالنظر إلى ما اختاره كانط من الدليل لإثبات وجود لايكون واجب الوجود أي لايكون الله لأن أخص ما يمتاز الله به وجوب وجوده ووجوب الوجود إنما يتحقق له إذا استحال عدم وجوده بطريق من إحدى طرق الاستحالة المعروفة عند العقلاء كلزوم التناقض[83] والدور والتسلسل والترجيح من غير مرجح." [84]

وضع قضية وجود الله بعد قضية الأخلاق: من عيوب هذا الدليل أنه يعكس الترتيب الصحيح المعترف به لدى المسلمين المتمثل في أن الأخلاق تثبت بناء على وجود الإله. فهذا الدليل يرتب وجود الله على قضية الأخلاق. فكأن الأخلاق هي الأصل الجوهر، ووجود الله هو الفرع العرض. وفيه ما فيه من فساد الوضع. في هذا المعنى يقول الشيخ:

"الله موجود بالرغم من كل شيء سواء صلحت أخلاق المجتمع أو فسدت، وسواء سعد أصحاب الفضيلة أو شقوا. فيجب على الإنسان أن يعلم هذه الحقيقة العظمى التي ليس لأي شيء أدنى قيمة بجنبها. فقول المؤمن: الله أكبر معناه أكبر من كل شيء، والله واجب الوجود للنشأة الأولى ليوجد الموجودات قبل أن يكون لازم الوجود للنشأة الثانية ليحاسب الخلق على أعمالهم أو يكون لازم الوجود ليحافظ الناس على أخلاقهم في الدنيا راغبين في سعادة الآخرة لا أن الله موجود بفضل احتياج المستحقين للسعادة من أهل الفضيلة إلى وجوده والفضيلة محترمة مرغوب فيها بفضل وجود الله الذي لايضيع أجر المحسنين؛ لأن هذا دور لايجدي نفعا لكلا الطرفين." [85]

فهذه هي أوجه الضعف الخمسة التي من أجلها هجر الشيخ مصطفى ما يسمى بدليل الأخلاق، ولم يعتد به في سياق أدلة وجود الله تعالى المعتد بها.

---

[82] المرجع السابق: 100/3.

[83] تناقض القضيتين اختلافهما بالايجاب والسلب بحيث يقتضي لذاته صدق إحداهما وكذب الأخرى. (التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: 1/ 514)

[84] صبري، العقل والنقل: 101/3.

[85] المرجع السابق: 99/3.

ابن عاشور: أما العلامة ابن عاشور فلم يتعرض لهذا الدليل نفيا ولاإثباتا، وهو لم يتعرض للفيلسوف كانط إطلاقا في أعماله، وهو الذي اشتهر بهذا الدليل في العصر الحديث، و الشيخ مصطفى صبري أيضا تعرض لهذا الدليل تحت عنوان "دليل الفيلسوف كانط على وجود الله"[86] فالأغلب أنه لم يطلع على هذا الوجه من الدلالة. ولم أعثر فيما كتبه على ما يستروح منه موقفه من مثل هذا الدليل. غير أنه من الأشاعرة الذين لايرون الحسن والقبح عقليين[87] كما يراهما كذلك الماتريدية والمعتزلة، ولا ينسجم مع موقفه الأشعري هذا الدليل القائم على موضوعية الأخلاق، وقد مرت هذه النقطة في الركن السابق المتعرض لموقف الشيخ صبري من هذا الدليل بحمد الله تعالى.

المبحث الخامس: دليل الفطرة

إن المراد بدليل الفطرة هو أن الإحساس بوجود الخالق أمر مغروز في فطرة البشر جميعا وأعماق ضمائرهم، يشعر به كل عاقل بغير لجوء إلى البرهنة العقلية. نعم، لعله يحتاج إلى أن يجرد نفسه من الغفلة ويفتقر إلى التنبيه. أما البرهنة العقلية فلعلها تزيد الأمر تعقيدا. ففكرة الإله أقرب إلى الناس مما يسمى بالدليل العقلي. "بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات".[88] حتى فرعون الذي عرف في تاريخ البشر القديم بإنكار الإله كان مستيقنا به في قرارة نفسه جاحدا في ضحالة ظاهره، فكان متجاهلا بالله لاجاهلا به.[89]

ولنظر ما كان مواقف الشيخ صبري والعلامة ابن عاشور حول دليل الفطرة!

مصطفى صبري: أما الشيخ صبري فلم يتعرض لدليل الفطرة نفيا ولا إثباتا. ولكنا نستطيع أن نستخلص رأي الشيخ من انتقاده لدليل الأخلاق. لقد مر بنا أنه انتقد دليل الأخلاق الذي احتكم إليه الفيلسوف كانط لإثبات وجود الله تعالى، وكان دليله مبنيا على فطرية الأخلاق، فهو أنكر هذه الفطرية. ونحن نعلم أن كانط حينما لاذ بذلك، كان الإله أول عنصر في هذه الفطرية، ولكن الشيخ رفض ذلك رفضا باتا، وصرح بأن منهج المتكلمين أنهم يثبتون الإله بالدليل النظري الذي يرفضه الفيلسوف كانط. يقول الشيخ في هذا المعنى:

> "ونحن نثبت قبل كل شيء وجود الله بدليله العقلي النظري المستنبط من وجودنا ووجود أي موجود في العالم غير متريثين[90] إلى مسألة أخلاق الإنسان التي يجيء دورها ودور أهيمتها بعد مسألة وجود الإنسان وأهيمة وجوده بمراحل، ويكون سهلا علينا بعد إثبات وجود الله إثبات وجود يوم الدين ولزوم التأهب لذلك اليوم بتنظيم الأخلاق." [91]

---

[86] المرجع السابق: 3/92.

[87] لقد اختلفت طوائف الأمة حول ما إذا كان هناك أمر يحسن في العقل أو قبح ويستحيل أن يخالفه الشرع. فالأشاعرة جنحوا إلى أنه لا يوجد شيء يحرم أو يجب بالعقل بناء على حسنه أو قبحه. وإنما هما تابعان للشرع. ولكن رأي معظم الحنفية والمعتزلة أن هناك أمورا تقبح أو تحسن عقلا، يتبعه الشرع فيها ويستحيل أن يخالفها. (يراجع لتفصيل ذلك: مشرف، آراء الإمام الكمال ابن الهمام المتعلقة بالإلهيات دراسة وصفية تحليلية، الفصل الثالث: الكلام في أفعال الله تعالى، المبحث السادس: حسن الأفعال وقبحها، رسالة ماجستير، الجامعة العالمية الإسلامية، إسلام آباد، 2020م)

[88] ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية: 1/ 26.

[89] المرجع السابق.

[90] أي غير منتظرين لمسألة أخلاق الإنسان، وقصد بذلك عدم ابتناء مسألة وجود الله على مسألة الأخلاق، واستعار التريث والانتظار لابناء شيء على شيء بجامع أن أن في الانتظار تقديما و تأخيرا.

[91] صبري، العقل والنقل: 3/97 - 98.

فعلنا يسوغ لنا أن نستروح من كلامه هذا – غير جازمين – أنه لا يرتاح للقول بفطرية وجود الله تعالى وتوحيده. بخلاف ما مال إليه العلامة ابن عاشور كما سيأتي والله أعلم!

ابن عاشور: لقد ذكر العلامة ابن عاشور في سياق ما لاقى الأنبياء من الجحود لما دعوا إلى الله وحده أن فطرة المنكرين فسدت وتغيرت حتى أقدموا على إنكار ما أودع فيها. فجاءت الآية كما ذكر العلامة:

"... تنبيها على رسوخ الكفر من نفوسهم بحيث لم يقلعه منهم لا ما شاهدوه من البينات، ولا ما وضعه الله في فطرة الإنسان من اعتقاد وجود إله واحد وتصديق الرسل الداعين إليه، ولا الوفاء بما عاهدوا عليه الرسل عند الدعوة: إنهم[92] إن أتوهم بالبينات يؤمنون بها." [93]

فأكبر ما يستدل به على أن القرآن يفترض فطرية وجود الله تعالى وتوحيده هو الآيات التي محتواها أن الله تعالى أشهد الناس على توحيده. وقد سلك العلامة ابن عاشور نفس المسلك في هذه الآية.[94]

المبحث السادس: إثبات وجود الله تعالى بمعجزات الأنبياء

لقد ورد نقاش حول صحة ما إذا نستدل بالمعجزة على وجود الله تعالى. فعامة المتكلمين لم يقتنعوا بصحته، وأصروا على أن المعجزة لامعنى لها إلا إذا سبقها ثبوت وجود الله تعالى. فالمعجزة تترتب على وجود الله تعالى، ولايصح في ميزان المنطق والاستدلال أن يفرع وجود الله تعالى على المعجزة. ولكن عارضهم بعض العلماء وخاصة مدرسة ابن تيمية في ذلك، وذهبوا إلى أن ذلك طريق صحيح مستقيم. في هذا المعنى يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى:

"قال القاضي أبو يعلى[95] في عيون المسائل: ... ومثبتو النبوات حصل لهم المعرفة بالله تعالى بثبوت النبوة من غير نظر واستدلال في دلائل العقول خلافا للأشعرية في قولهم: لا تحصل حتى تنظر وتستدل بدلائل العقول. وقال: نحن لا نمنع صحة النظر ولا نمنع حصول المعرفة به وإنما خلافنا هل تحصل بغيره." [96]

ثم ذكر عنه من وجه الاستدلال أن المعجزة تدل على النبوة والرسالة، ثم تدلنا الرسالة على أن هنا مرسلا. وأما دلالة المعجزة نفسها فمن باب الحس لمن حضرها ومن باب الخبر المستفيض المتواتر لمن غاب عنها. ثم يفتح الباب على مصراعيه لكل ما يقول به الرسول. [97] ثم جلا شيخ الإسلام وجه الاستدلال أكثر وصقله أشد وقال:

---

92 قوله: إنهم إن أتوا ..." إلى آخره تفسير لما عاهدوا عليه الرسل.

93 محمد، ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/ 32.

94 المرجع السابق: 33/9.

95 محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء، أبو يعلى (380 - 458هـ = 990 - 1066م): عالم عصره في الأصول والفروع وأنواع الفنون. من أهل بغداد. وكان شيخ الحنابلة في عصره. ارتفعت مكانته عند القادر والقائم العباسيين. وولاه القائم قضاء دار الخلافة والحريم، وحران وحلوان، وكان قد امتنع، واشترط أن لا يحضر أيام المواكب، ولا يخرج في الاستقبالات ولا يقصد دار السلطان، فقبل القائم شرطه. له تصانيف كثيرة، منها الإحكام السلطانية والكفاية في أصول الفقه وأحكام القرآن وأربع مقدمات في أصول الديانات وتبرئة معاوية والعدة في أصول الفقه. (الزركلي، الأعلام: 6/ 99)

96 أحمد، ابن تيمية، مجموع الفتاوى: 11/ 377 – 378.

97 المرجع السابق.

"... لأن المعجزة التي هي فعل خارق للعادة تدل بنفسها على ثبوت الصانع كسائر الحوادث، بل هي أخص من ذلك؛ لأن الحوادث المعتادة ليست في الدلالة كالحوادث الغريبة. ولهذا يسبح الرب عندها ويمجد ويعظم ما لايكون عند المعتاد. ويحصل في النفوس ذلة من ذكر عظمته ما لايحصل للمعتاد؛ إذ هي آيات جديدة فتعطى حقها وتدل بظهورها على الرسول وإذا تبين أنها تدعو إلى الإقرار بأنه رسول الله، فتقرر بها الربوبية والرسالة." [98]

عرفنا من ذلك أن التدقيق في دلالة المعجزة على ثبوت الدين يعود في نهاية المطاف إلى دلالة الحوادث على ثبوت الصانع، فينضم هذا وجها إلى وجوه دلالة دليل الحدوث. فانتظم الاستدلال بما يلي:

- أن الإنسان الذي يعلن الرسالة والنبوة ظهرت على يديه المعجزة التي ليست في طور ذلك الإنسان،
- وأن المعجزة أثبتت موجودا وراء هذا العالم،
- وأنه لابد أن يكون متحليا بالعلم والإرادة والقدرة،
- فإذا ثبت الموجود المخالف للحوادث ذو العلم والإرادة والقدرة، ثبت صدق هذا الإنسان في إعلانه،
- وأن هذا الصدق يتضمن صدق كل ما أخبر به،
- ولايخفى أن هذا مبني على وجود الله تعالى.

فمن هنا، تدل المعجزات على وجود الله تعالى وعلى وحدانيته.

لننظر مواقف الشيخ صبري والعلامة ابن عاشور حول هذا الدليل إن كان لكل منهما موقف!

مصطفى صبري: أما الشيخ صبري فيصرح في مواضع من كتابه أن قضية الإيمان بالله هي أصل قضية المعجزة والنبوة. فالمعجزة لاتثبت ما لم يثبت وجود الله تعالى. فهو على سبيل المثال يناقش هيكل باشا[99] في كتابه "حياة محمد" ويذكر أن من يدعوه إلى الإسلام من غير المسلمين لايخلو من حالين، لاثالث لهما: الأول أن يؤمن بأول سماع الدعوة بغير حاجة إلى استدلال عقلي، والثاني أن يحتاج إلى استدلال. فيقول بهذا الصدد:

"وخلاصته أن من يهتدي إلى الإسلام في هذا الزمان من الأمم غير المسلمة يهتدي إليه بأحد طريقين: إما بأن يدخل الإيمان في قلبه أول ما دعي إلى الإيمان ... فيؤمن من غير أن يتلجلج قلبه ... وإما بأن ينظر إلى سنة الله في هذا الكون ... فيهتدي إلى بارئه. وهذا الرجل أيضا لايحتاج في إيمانه بالله إلى المعجزات والخوارق." [100]

أما هذا الرجل الثاني فيصرح المصنف بأنه لابد أن يخطو خطوات الاستدلال من الآثار إلى المؤثر لإثبات وجود الله تعالى، ثم ينتقل إلى إثبات النبوة. فهو أيضا

---

[98] أحمد، ابن تيمية، مجموع الفتاوى: 11/ 377 - 378.

[99] محمد حسين هيكل (1305هـ - 1376هـ = 1888م - 1956م): كاتب صحفي، مؤرخ من أعضاء المجمع اللغوي، ومن رجال السياسة، بمصر. ولد في قرية كفر غنام بالدقهلية وتخرج بمدرسة الحقوق بالقاهرة سنة 1327هـ (=1909م) وحصل على الدكتوراه في الحقوق من السربون بفرنسة سن 1330هـ (=1912م) وافتتح مكتبا للمحاماة بالمنصورة. وأكثر من الكتابة في جريدة (الجريدة) وترأس تحرير جريدة السياسة اليومية ثم الأسبوعية. ودرس القانون المدني في الجامعة المصرية القديمة. وكان من أركان الحزب الدستوري المناوئ لسعد زغلول وحزبه. وولي وزارة المعارف مرتين، ثم رئاسة مجلس الشيوخ. وتوفي بالقاهرة. صنف كتبا، منها حياة محمد وفي منزل الوحي وثورة الأدب والصديق أبو بكر والفاروق عمر وجان جاك روسو. (الزركلي، الأعلام: 6/ 107)

[100] صبري، العقل والنقل: 111/1.

"... غير مضمون له الإيمان أيضا على مذهب المؤلف؛[101] لأن طريقة هذا الرجل إلى الإيمان بالله تعالى هي طريقة الاستدلال من الآثار إلى مؤثرها: أعني بها طريقة العلم القديم المبني على العقل المحض والمنطق التجريدي اللذين لايعتد بهما العلم الحديث ولامتعلموه العصريون أشباه المؤلف ولا يعتبرون ما يبني عليهما من المسائل حقائق علمية." [102]

فالاستدلال خيط ينتظم ثلاث قضايا مترتبة بعضها على بعض: وجود الله وإمكان النبوة وثبوت المعجزة.

"ولابد إذن لإثبات الدين ... أن نكافح[103] العلم الحديث المانع عن الإيمان بالغيب والعقل المقيد بذلك العلم ... وبعبارة أولى وأوضح لابد أن نبتدئ الأمر بدعوة العلم والعقل إلى الإيمان ... فأمامنا ثلاث مسائل: وجود الله ووجود منصب النبوة ووجود معجزة النبي." [104]

أما القضية الأولى – وهي وجود الله تعالى – ففي رأس هذا الخيط، وعليه تنبني الأخريان. وهنا يشير الشيخ إلى أن العقلية العصرية المتأثرة بمنهج علوم الطبيعة تعجز أمام هذه القضية إثباتا. فلا يسعهم تخطيها إلى قضية المعجزة والنبوة. فيقول:

"فالمسألة الأولى مع كونها أساس المسألة الثانية بل أساس كل شيء لايجد المتعلمون تعلما عصريا الاستطاعة في أنفسهم والشجاعة لإثباتها علميا." [105]

فعرفنا من ذلك أنه يقف موقف جمهور المتكلمين ولايسوغ بناء وجود الله تعالى على دلالة المعجزة.

ابن عاشور: مما أقره العلامة ابن عاشور في تفسيره في مساق أدلة على وجود الله تعالى أن آيات الله تعالى التي هي المعجزات تدل على وحدانية الله تعالى. فإنه ذكر في تفسير الآية الرابعة من سورة الأنعام:

"والمراد بقوله: من آية كل دلالة تدل على انفراد الله تعالى بالإلهية. من ذلك آيات القرآن التي لإعجازها كانت دلائل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به من الوحدانية. وكذلك معجزات الرسول عليه الصلاة والسلام مثل انشقاق القمر." [106]

فقد استدل بعض الباحثين[107] بهذا الكلام على أن العلامة ابن عاشور يقر بإثبات وجود الخالق بمعجزات الأنبياء، استدل من كلام العلامة بما نقلته آنفا. ولكن هذا الكلام لا يربط بين معجزات الأنبياء ووجود الخالق، بل هو يخيط بينها وبين الوحدانية التي يمكن أن تثبت بالأدلة النقلية أيضا. فلست مرتاحا لنسبة الإقرار بهذا الدليل إلى العلامة ابن عاشور. ومن سبب عقد هذا الباب مع تحقيق رأي الشيخ صبري المذكور آنفا أني أريد تسجيل عدم الرضا بهذا الأمر، ومن وظيفة الباحث تصحيح الخطأ الذي وقع فيه غيره في نظره فيما يبحث هو فيه.

---

[101] يريد مصنف حياة محمد هيكل باشا.

[102] صبري، العقل والنقل: 111/1.

[103] أي نعارض ونناوئ.

[104] صبري، العقل والنقل: 115/1.

[105] المرجع السابق.

[106] محمد، ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/ 134.

[107] مريم محمد إبراهيم الرقيق، الاتجاه العقدي عند محمد الطاهر بن عاشور: 120، مجلة فكر وإبداع، سنة 2014م.

فأرى في ضوء ما قررته من موقف العلامة ابن عاشور من المنهج الكلامي القائم على درء الدور[108] وعموم انتماءه إلى الأشعرية أنه لا يرى ذلك.

الخاتمة

لقد اقترب مقالنا من الانتهاء، وقبل أن نحط رحاله، يحرى بنا أن نسرد فيما يلي أهم ما أسفر عنه مقالنا من النتائج:

- أن كلا من العلامة ابن عاشور والشيخ صبري سار على ما يسمى بالمنهج الكلامي القائم على أن معرفة الله تعالى يجب أن تأتي من الدليل العقلي وأن الدليل النقلي ينبني على الدليل العقلي وأن الدور المفسر باستقاء من الدليل النقلي ما هو أساسه من نحو وجود الله تعالى لا يجوز مع اتفاقهم على أن علم البشر بالله تعالى لا يمكن أن يصل إلى حقيقته وكنه. وقد تجلى هذا في سياق إثبات وجود الله تعالى بمعجزات الأنبياء.
- وأن كليهما اعتمد على دليل الحدوث والإمكان والغاية.
- وأما دليل الأخلاق فقد نفاه الشيخ صبري متمسكا في باب إثبات وجود الله تعالى، ولم يتعرض له العلامة ابن عاشور نفيا ولا إثباتا. فانفراد بمعالجته الأول دون الثاني.
- وانعكس الأمر في دليل الفطرة الذي تمسك به العلامة ابن عاشور ولم يتعرض له الشيخ صبري نفيا ولا إثباتا بالتصريح وإن كان رأينا أنه لايرتضيه على أساس ما قرره في مواضع أخرى. فاختلف فيه آراؤهما على حسب ما قررناه.
- وأما إثبات وجود الله تعالى من خلال المعجزات فقد رآى بعض الباحثين أن العلامة ابن عاشور أقره ولكني لست مرتاحا لهذا الرأي، وأرى أنه لا يرضاه أو لم يقرره على الأقل، وأما الشيخ صبري فقد صرح في مناسبات شتى أن الميزان العلمي القويم يقتضي أن نبني المعجزة على وجود الله تعالى دون العكس، فلم يرتضه.

المراجع:

فيما يلي قائمة أهم المراجع التي اعتمدنا عليها في أثناء إعداد هذه المقالة:

أحمد، ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد، 2004م،

أحمد محمد سالم، تجديد علم الكلام قراءة في فكر بديع الزمان سعيد النورسي، (لم أجد تفاصيل الطباعة في النسخة المتوفرة على الشبكة)،

التفتازاني، شرح العقائد النسفية، دار الحديث، ملتان، باكستان،

جمال الدين، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت،

سعيد فودة، الأدلة العقلية على وجود الله بين المتكلمين والفلاسفة، منشورات الأصلين، 2016م.

صبري، موقف العقل والنقل، دار الكتب العلمية، بيروت، 2021م،

صدر الدين الشيرازي، الأسفار الأربعة (14/6)، دار إحياء التراث العربي، 1990م.

عبد الرحمن، ابن جوزي، زاد المسير في علم التفسير (1/ 266)، دار الكتب العربي، بيروت، 2001هـ.

علي بن علي، ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م

محمد، ابن عاشور، التحرير والتنوير، مكتبة مصر، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997م،

محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، المكتبة العصرية، بيروت، 2009م.

مريم محمد إبراهيم الرقيق، الاتجاه العقدي عند محمد الطاهر بن عاشور، ص 120، مجلة فكر وإبداع، سنة 2014م.

الماتريدي، تأويلات أهل السنة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م.

[108] يراجع ص 148 ومابعدها من هذه الرسالة.

Oppy, Graham, Joshua Rasmussen, and Joseph Schmid, "Ontological Arguments", The Stanford Encyclopedia of Philosophy (Winter 2024 Edition), Edward N. Zalta & Uri Nodelman (eds.), forthcoming URL = https://plato.stanford.edu/archives/win2024/entries/ontological-arguments/
Reichenbach, Bruce, "Cosmological Argument", The Stanford Encyclopedia of Philosophy (Summer 2024 Edition), Edward N. Zalta & Uri Nodelman (eds.), URL = https://plato.stanford.edu/archives/sum2024/entries/cosmological-argument/
Mell, Thompson, Understand the Philosophy of Religion, Teach Yourself, Editon: 2010.
Bourdeau, Michel, "Auguste Comte", *The Stanford Encyclopedia of Philosophy* (Spring 2023 Edition), Edward N. Zalta & Uri Nodelman (eds.), URL = <https://plato.stanford.edu/archives/spr2023/entries/comte/>